

الخصية الكبرى

في الرد على المغتربين بدعاة الاتحاد والمدنية الغربية

محاورة دينية اجتماعية

بُعُوث

«التصريح بالحق»

تأليف

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

١٣٠٧ - ١٣٧٦ هـ

اعتنى بها

أبو محمد أشرف بن عبد المقصود

أضواء السلف

النصيحة السنية

في الرد على المغتربين برفاهة الأجداد والمدنية الغربية

محاورة دينية اجتماعية بفتوحات

«تنوير الحفاة»

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

التصحيح للبرهان

في الرد على المغتربين بدعاة الاتحاد والمدنية الغربية

محاورة دينية اجتماعية بعنوان

«التصحيح للبرهان»

تأليف

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

١٣٠٧ - ١٣٧٦ هـ

اعتنى بها

أبو محمد أشرف بن عبد المقصود

أضواء السلف

مجموع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

مكتبة أضواء السلف - لصاحبها علي المزني

الرياض - شارع سعد بن أبي وقاص - بجوار بنده - ص ب ١٢١٨٩٢ - الرمز ١١٧١١
ت ٤٥٠٤٣٢١ - محمول ٠٥٥٤٩٤٣٨٥

الموزعون المعتمدون لمنشوراتنا

- المملكة العربية السعودية: مؤسسة الجريسي.
- باقي الدول: دالر ابن حزم - بيروت - ت ٠٧٠١٩٧٤.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المصنف

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ .
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .
أَمَّا بَعْدُ :

فهذه صورةٌ مُخَاوِرَةٌ بَيْنَ رَجُلَيْنِ كَانَا مُتَّصِحِبَيْنِ ، رَفِيقَيْنِ مُسْلِمَيْنِ
يَدِينَانِ بِالذِّينِ الْحَقِّ ، وَيَشْتَغِلَانِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ جَمِيعًا .
فَغَابَ أَحَدُهُمَا عَنْ صَاحِبِهِ مُدَّةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ التَّقِيَا ، فَإِذَا هَذَا الْغَائِبُ قَدْ
تَغَيَّرَتْ أَحْوَالُهُ ، وَتَبَدَّلَتْ أَخْلَاقُهُ ، فَسَأَلَهُ صَاحِبُهُ عَنْ ذَلِكَ ؟
فِإِذَا هُوَ قَدْ تَغَلَّبَتْ عَلَيْهِ دِعَايَةُ الْمُلْحِدِينَ ، الَّذِينَ يَدْعُونَ لِنَبْذِ الدِّينِ وَرَفْضِ
مَا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ . فَحَايَلَهُ صَاحِبُهُ وَقَلْبُهُ ؛ لَعَلَّهُ يَرْجِعُ عَنْ هَذَا الْإِنْقِلَابِ
الْغَرِيبِ ، فَأَعْيَيْتُهُ الْحِيلَةَ فِي ذَلِكَ . وَعَرَفَ أَنَّ ذَلِكَ عِلَّةٌ عَظِيمَةٌ ، وَمَرَضٌ
يَفْتَقِرُ إِلَى اسْتِعْصَالِ الدَّاءِ وَمُعَالَجَتِهِ بِأَنْفَعِ الدَّوَاءِ .
وَعَرَفَ أَنَّ ذَلِكَ مُتَوَقِّفٌ عَلَى مَعْرِفَةِ الْأَسْبَابِ الَّتِي حَوَّلَتْهُ ، وَالطُّرُقِ الَّتِي
أَوْصَلَتْهُ إِلَى هَذِهِ الْحَالَةِ الْمُخِيفَةِ وَإِلَى فَحْصِهَا وَتَمْحِصِهَا وَتَخْلِصِهَا
وَتَوْضِيحِهَا وَمُقَابَلَتِهَا بِمَا يُضَادُّهَا وَيَقْمَعُهَا عَلَى وَجْهِ الْحِكْمَةِ وَالسَّدَادِ .

(١) سبق نشر هذه الرسالة في أعداد متفرقة بمجلة « المنهل » عام ١٣٦٧ هـ ، ثم نُشرت بعد ذلك في رسالة مستقلة ، بالمطبعة السلفية بعنوان « انتصار الحق » محاوره دينية اجتماعية .

الاحتجاج على الدين بتفريط المسلمين ظلم مبين !!

○ فقال لصاحبه مُسْتَكْشِفًا له عن الحَامِلِ له على ذلك :

* يَا أَخِي مَا هَذِهِ الْأَسْبَابُ الَّتِي حَمَلَتْكَ عَلَيَّ مَا أَرَى ؟

* وَمَا الَّذِي دَعَاكَ إِلَى نَبْدِ مَا كُنْتَ عَلَيْهِ ؟

فَإِنْ كَانَ خَيْرًا كُنْتُ أَنَا وَأَنْتَ شَرِيكَيْنِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَأَعْرِفْ مِنْ عَقْلِكَ وَدِينِكَ وَأَدَبِكَ أَنَّنِي وَأَنْتَ لَا نَرْضَى أَنْ تُقِيمَ عَلَيَّ مَا يَضُرُّكَ ! .

○ فَأَجَابَهُ صَاحِبُهُ قَائِلًا :

لَا أَكْتُمُكَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيَّ حَالَةً لَا يَرْضَاهَا ذُوو الْهِمَمِ الْعَلِيَّةِ :

رَأَيْتُهُمْ فِي جَهْلِ ، وَذُلٍّ ، وَخُمُولٍ !

وَأُمُورُهُمْ مُدْبِرَةٌ ، وَأَحْوَالُهُمْ سَيِّئَةٌ ، وَأَخْلَاقُهُمْ مُنْحَلَةٌ !

وَقَدْ فَقَدُوا رُوحَ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا جَمِيعًا !!

وَرَأَيْتُ فِي الْجَانِبِ الْآخِرِ ؛ هَوْلَاءِ الْأَجَانِبِ قَدْ تَرَقَّقُوا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ وَتَفَنَّنُوا فِي الْفُنُونِ الرَّاقِيَةِ ، وَالْمُخْتَرَعَاتِ الْعَجَبِيَةِ الْمُدْهَشَةِ ، وَالصَّنَاعَاتِ الْمُتَفَوِّقَةِ .

فَرَأَيْتُهُمْ قَدْ دَانَتْ لَهُمُ الْأُمَمُ ، وَخَضَعَتْ لَهُمُ الرِّقَابُ ، وَصَارُوا يَتَحَكَّمُونَ

فِي الْأُمَمِ الضَّعِيفَةِ بِمَا شَاءُوا ، وَيَعُدُّونَهُمْ كَالْعَبِيدِ وَالْأَجْرَاءِ .

فَرَأَيْتُ فِيهِمُ الْعِزَّ الَّذِي بَهَرَنِي ، وَالتَّفَنُّنَ الَّذِي أَدْهَشَنِي .

(١) العناوين من عمل المعنى وأما ترجمة العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي فتراجع في

مقدمة تحقيقنا لكتابه « منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين » ؛ فأغنى عن إعادتها هنا .

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : لَوْلَا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ هُمُ الْقَوْمُ ، وَأَنَّهِمْ عَلَيَّ الْحَقُّ
وَالْمُسْلِمُونَ عَلَيَّ الْبَاطِلُ لَمَّا كَانُوا عَلَيَّ هَذَا الْوَصْفِ الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ
فَرَأَيْتُ أَنَّ سُلوَكي سَبِيلَهُمْ وَأَقْتِدَائِي بِهِمْ خَيْرٌ لِي وَأَحْسَنُ عَاقِبَةً .
فَهَذَا الَّذِي صَيَّرَنِي إِلَى مَا رَأَيْتَ !! .

● فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ حِينَ أَبَدَى مَا كَانَ خَافِيًا :

إِذَا كَانَ هَذَا هُوَ السَّبَبُ الَّذِي حَوَّلَكَ إِلَى مَا أَرَى ، فَهَذَا لَيْسَ مِنْ
الْأَسْبَابِ الَّتِي يَتَنَبَّأُ عَلَيْهَا أَوْلُو الْأَلْبَابِ وَالْعُقُولِ عَقَائِدَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ
وَأَعْمَالَهُمْ وَمُسْتَقْبَلِ أَمْرِهِمْ .

فَاسْمَعْ يَا صَدِيقِي تَمَّحِيصَ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي غَرَّكَ وَحَقِيقَتَهُ :

إِنَّ تَأَخَّرَ الْمُسْلِمِينَ - فِيمَا ذَكَرْتُ - لَيْسَ نَاشِئًا عَنْ دِينِهِمْ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ عَلِمَ كُلُّ
مَنْ لَهُ أَدْنَى نَظَرٍ وَبَصِيرَةٍ أَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ يَدْعُو إِلَى الصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ فِي
أُمُورِ الدِّينِ ، وَفِي أُمُورِ الدُّنْيَا ، وَيَحْتَجُّ عَلَى الْإِسْتِعْدَادِ ؛ مِنْ تَعَلُّمِ الْعُلُومِ
وَالْفُنُونِ النَّافِعَةِ .

وَيَدْعُو إِلَى تَقْوِيَةِ الْقُوَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْمَادِّيَّةِ لِمُقَاوَمَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَالسَّلَامَةِ مِنْ
شَرِّهِمْ وَأَضْرَارِهِمْ ، وَلَمْ يَسْتَفِدْ أَحَدٌ مِنْفَعَةً دُنْيَوِيَّةً فَضْلًا عَنْ الْمَنَافِعِ الدِّينِيَّةِ
إِلَّا مِنْ هَذَا الدِّينِ .

وَهَذِهِ تَعَالِيمُهُ وَإِرْشَادَاتُهُ قَائِمَةٌ لَدَيْنَا تُنَادِي أَهْلَهَا : هَلُمَّ إِلَى الْإِشْتَغَالِ
بِجَمِيعِ الْأَسْبَابِ النَّافِعَةِ الَّتِي تُغْلِيكُمْ وَتُرَقِّقُكُمْ فِي دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ ! .

* أَفَبَتَفْرِيطِ الْمُسْلِمِينَ تَحْتَجُّ عَلَى الدِّينِ ؟ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الظُّلْمُ الْمُبِينُ !! .

* أَلَيْسَ مِنْ قُصُورِ النَّظَرِ ، وَمِنَ الْهَوَى وَالنَّعْصَبِ ، النَّظَرُ فِي أَحْوَالِ

المسلمين في هذه الأوقات التي تدهورت فيها علومهم وأعمالهم وأخلاقهم ، وفقدوا فيها جميع مقومات دينهم ، وتركوا النظر إليهم في زهرة الإسلام والدين في الصدر الأول ، حيث كانوا قائمين بالدين مستقيمين على الدين ، سالكين كل طريق يدعو إليه الدين ، فازتقت أخلاقهم وأعمالهم حتى بلغت مبلغاً ما وصل إليه ولن يصل إليه أحد من الأولين والآخرين ودانت لهم الدنيا ، من مشارقها إلى مغاربها ، وخضعت لهم أقوى الأمم ، وذلك بالدين الحق والعدل والحكمة والرحمة وبالأوصاف الجميلة التي كانوا عليها ! ؟ .

* أليس ضعف المسلمين في هذه الأوقات ؛ يوجب لأهل البصائر والنجدة منهم أن يكون جدتهم ونشاطهم وجهادهم الأكبر متضاعفاً ويقوموا بكل ما في وسعهم ليتألوا المقامات الشامخة ولينجوا من الهوة العميقة التي وقعوا فيها ؟ .

* أليس هذا من أفرض الفرائض وألزم اللزمات في هذا الحال ؟ . فالجهاد في حال قوة المسلمين وكثرة المشاركين فيه ؛ له فضل عظيم يفوق سائر العبادات ، فكيف إذا كانوا على هذه الحالة التي وصفت ؟ . فإن الجهاد لا يمكن التعبير عن فضائله وثمراته .

ففي هذه الحال يكون الجهاد على قسمين : أحدهما : السعي في تقويم المسلمين ، وإيقاظ هممهم وبعث عزائمهم وتعليمهم العلوم النافعة ، وتهذيبهم بالأخلاق الراقية ، وهذا أشق الأمورين وهو أنفعهما وأفضلهما .

والثاني : السَّعي في مُقاومةِ الأعداءِ ، وإعدادِ جميعِ العُدَدِ القوليَّةِ والفعليَّةِ والسياسيَّةِ الداخليَّةِ والخارجيةِ لِمُناوَأَتِهِمِ والسَّلَامَةِ من شرِّهِمِ ! .
* أَفحِينَ صارَ الأمرُ على هذا الوصفِ الذي ذَكَرْتَ ، وصارَ الموقفُ حَرِجًا تَتَخَلَّى عن إِخوانِكَ المُسلمين وتتخلف مَعَ الجُبَناءِ والمُخالفين ؟

* فكيف مَعَ ذلك تنضمُّ إلى حِزْبِ المُحارِبين !؟
اللَّهُ اللَّهُ يا أَخِي !! لا تَكُنْ أَقْلٌ مِمَّنْ قِيلَ فِيهِمِ : ﴿ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ اذْفَعُوا ﴾ [آل عمران : ١٦٧] .

قاتِلُوا لِأَجْلِ دِينِكُمْ ، أَوْ اذْفَعُوا لِأَجْلِ قَوْمِكُمْ وَوَطَنِكُمْ !
لا تَكُنْ مِثْلَ هؤُلاءِ المُنَافِقينَ .

فَأُعِيدُكَ يا أَخِي مِنْ هذِهِ الحَالِ التي لا يَرْضاها أَهلُ الدياناتِ ، ولا أَهلُ النَّجَداتِ والمُرُوءاتِ ..

* فهل تَرْضَى أَنْ تُشَارِكَ قَوْمَكَ في حَالِ عِزِّهِمِ وَقُوَّةِ عُدَدِهِمِ وَعُنُصْرِهِمِ ، وَتُفَارِقَهُمِ في حَالِ ذُلِّهِمِ وَمَصَائِبِهِمِ ، وَتَخَذُلَهُمِ في وَقْتِ اشْتَدَّتْ فِيهِ الضَّرورةُ إلى نُصرةِ الأُولياءِ وَرَدِّ عُدوانِ الأعداءِ ؟ .

* فهل رأيتَ قوماً خيراً من قَوْمِكَ أَوْ شاهَدْتَ دِيناً أَفضَلَ من دِينِكَ ؟

☆☆☆☆

حضارة ظاهرها مزخرف مُزَوَّق وباطنها خراب

○ فقال المنصوح :

الأمرُ هو ما ذكرتُ لك ، ونفسي تُشوقُ إلى أولئك الأقسامِ الذين أتقنوا
الفنونَ والصناعاتِ ، وترقَّوا في هذه الحياة !! .

○ قال له صاحبه وهو يحاوره :

رَفَضْتَ دينًا قِيمًا كاملَ القواعد ، ثابتَ الأركانِ ، مُشرقَ البُرْهَانِ ، يَدْعُو
إلى كُلِّ خَيْرٍ ، ويحثُّ على السعادةِ والفلاحِ ، ويقولُ لأهله : هَلُمَّ إلى
كُلِّ صلاحٍ وإصلاحٍ ، وإلى كُلِّ خَيْرٍ ونجاحٍ ، وَاسْلُكُوا كُلَّ طريقٍ
يُوصِلُكُمْ إلى السعادةِ الدنيويةِ والأخرويةِ .

دينٌ مَبْنِيٌّ على الحضارةِ الراقيةِ الصَّحيحةِ ، التي بُنِيَتْ على العدلِ
والتَّوْحِيدِ ، وَأُسِّسَتْ على الرحمةِ والحكمةِ والعلمِ والشفقةِ وأداءِ الحقوقِ
الواجبةِ والمُسْتَحَبَّةِ .

وَسَلِمَتْ من الظُّلمِ والجشعِ والأخلاقِ السافِلَةِ .

وَشَمَلَتْ بِظِلِّهَا الظُّلِيلِ ، وإحسانِها الطويلِ ، وخيرِها الشاملِ ، وبهائِها
الكاملِ ، ما بينَ المشارِقِ والمغارِبِ ، وأقرَّ بذلك المُوَافِقُ وَالْمُنْصِفُ المُخَالِفُ .

* أَتَتْرُكُهَا رَاغِبًا في حضاراتِ وَمَدَنِيَّاتِ مَبْنِيَّةِ عَلَى الكُفْرِ والإلحادِ
مُؤَسَّسَةِ على الطَّمَعِ والجشعِ والقسوةِ وظُّلمِ العبادِ ، فاقدةٌ لِزُوجِ الإيْمَانِ
ورحمتهِ عادمةٌ لِنُورِ العلمِ وحكمتهِ ؟ .

حضارةٌ ظاهرها مَزَخْرَفٌ مُزَوَّقٌ ، وباطنها خَرَابٌ ، وتظنُّها تَعْمُرُ الموجودَ
وهي في الحقيقةِ مألها الهلاكُ والتدميرُ .

* أَلَمْ تَرَ آثَارَهَا فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ ، وَمَا اخْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْآفَاتِ
وَالْوَيْلَاتِ ، وَمَا جَلَبَتْهُ لِلخَّلَائِقِ مِنَ الْهَلَاكِ وَالْفَنَاءِ وَالتَّدْمِيرِ ؟
* فَهَلْ سَمِعَ الْخَلْقُ مِنْذُ أَوْجَدَهُمُ اللَّهُ لِهَذِهِ الْمَجَازِرِ الْبَشْرِيَّةِ الَّتِي انْتَهَى إِلَيْهَا
شَوْطُ هَذِهِ الْحَضَارَةِ نَظِيرًا أَوْ مِثْلًا ؟ .

* فَهَلْ أَغْنَتْ عَنْهُمْ مَدَنِيَّتُهُمْ وَحَضَارَتُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا
جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَمَا زَادَتْهُمْ غَيْرَ تَثْبِيبٍ ؟ .
فَلَا يَخْدَعَنَّكَ مَا تَرَى مِنَ الْمَنَاطِرِ الْمَزْخَرَفَةِ ، وَالْأَقْوَالِ الْمَمْوُهِةِ ، وَالِدَّعَاوِي
الطَّوِيلَةِ الْعَرِيضَةِ ، وَانْظُرْ إِلَى بَوَاطِنِ الْأُمُورِ وَحَقَائِقِهَا ، وَلَا تَغْرَبَنَّكَ
ظَوَاهِرُهَا ! .

* وَتَأَمَّلِ النَّتَائِجَ الْوُخِيمَةَ ، وَالثَّمَرَاتِ الذَّمِيمَةَ ، فَهَلْ أَسْعَدَتْهُمْ هَذِهِ
الْحَضَارَةُ فِي دُنْيَاهُمْ الَّتِي لَا حَيَاةَ لَهُمْ يَزُجُونَ غَيْرَهَا ؟ !
* أَمَا تَرَاهُمْ يَتَنَقَّلُونَ مِنْ شَرٍّ إِلَى شُرُورٍ وَلَا يَسْكُنُونَ فِي وَقْتٍ إِلَّا وَهُمْ
يَتَحَفَّزُونَ إِلَى شُرُورٍ فَظِيْعَةٍ وَمَجَازِرٍ عَظِيمَةٍ ؟ .

فَالقُوَّةُ وَالْمَدَنِيَّةُ وَالْحَضَارَةُ وَالْمَادَةُ بِأَنْوَاعِهَا إِذَا خَلَّتْ مِنَ الدِّينِ الْحَقِّ فَهَذِهِ
طَبِيعَتُهَا وَهَذِهِ ثَمَرَاتُهَا وَوَيْلَاتُهَا، لَيْسَ لَهَا أُصُولٌ وَقَوَاعِدُ نَافِعَةٌ ، وَلَا لَهَا
غَايَاتٌ صَالِحَةٌ .

* ثُمَّ هَبْ أَنَّهُمْ مُتَّعُوا فِي حَيَاتِهِمْ وَاسْتُدْرِجُوا فِيهَا بِالْعِزِّ وَالرِّيَاسَةِ وَمَظَاهِرِ
القُوَّةِ وَالْحَيَاةِ ، فَهَلْ إِذَا انْحَزَتْ إِلَيْهِمْ وَوَالَيْتَهُمْ يُشْرِكُونَكَ فِي حَيَاتِهِمْ
وَيَجْعَلُونَكَ كَأَبْنَاءِ قَوْمِهِمْ ؟ .

كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّهُمْ إِذَا رَضُوا عَنْكَ جَعَلُوكَ مِنْ أَرْدَلِ خُدَامِهِمْ ! .

وآيةُ ذلك أنك في ليلِكَ ونهارِكَ تكدحُ في خِدمَتِهِمْ ، وتتكلمُ ، وتُجادلُ
وتُخاصِمُ على حسابِهِمْ ولم ترَهُمْ رَفَعوكَ حتى ساوَوْا مَعَكَ أَذُنِي قومِهِمْ
وَبني جنسِهِمْ !! .

فاللَّهُ فاللَّهُ يا أخي في دينِكَ ، وفي مُروءَتِكَ وأخلاقِكَ وَأَدَبِكَ !! .
واللَّهُ اللَّهُ في بقيةِ رَمَقِكَ !! .

فالانضمامُ إلى هؤلاءِ - واللَّهُ - هُوَ الهَلَاكُ ! .

☆☆☆☆

الرفقة الصالحة وخطر البعد عنها

○ فقال له المنصوح :

لقد صدقت فيما قلت ، ولكن لي على هذا المذهب أصحاب مثقفون ولي على هذا الرأي شبيبة مهذبون ، قد تعاقدت معهم على التمسك بالإلحاد ، واختقار المُستَمسِكين بدين رب العباد ، قد أخذنا نصيباً وافراً من اللذات ، واشتبخنا ما تدعو إليه النفوس من أصناف الشهوات فأنى لي بمقاطعة هؤلاء السادة الغرر ؟ .

وكيف لي بمباينتهم وقد اتصلت بهم غاية الاتصال ؟ ! .
فالآن يتنازعني داعيان :

- داعي الحق بعد ما بان سبيله واتضح دليله .
 - وداعي النفس والاتصال بهؤلاء الأصحاب المنافي للحق غاية المنافاة .
- فكيف الطريق الذي يُريحني ويشفيني ؟
وما الذي عن هذا الأمر يسليني ؟ .

○ فقال له صاحبه الناصح :

* ألم تعلم أن من أوجب الواجبات وأكبر فضائل الرجال اللبيب ؛ أن يتبع الحق الذي تبين له ، ويدع ما هو فيه من الباطل ، وخصوصاً عند المنازعات النفسية والأغراض الدنيوية ، وأن الموفق إذا وقع في المهالك طلب الوسيلة إلى تحصيل الأسباب المنجية .

* أما علمت أن من نعمة الله على العبد : أن يُقيض له الناصحين الذين يُرشِدونه إلى الخير ، ويأمرونه بالمعروف ، وينهونه عن المنكر ، ويسعون في

سعادته وفلاحه ؟ .

* ثُمَّ مِنْ تَمَامِ هَذِهِ النُّعْمَةِ : أَنْ يُوفَّقَ لِطَاعَتِهِمْ ، وَلَا يَتَشَبَّهُ بِمَنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ : ﴿ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٩] .

* ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ الْإِنْسَانُ إِذَا ذَاقَ مَذْهَبَ الْمُتَحَرِّفِينَ ، وَشَاهَدَ مَا فِيهِ مِنَ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ ، ثُمَّ تَرَجَّعَ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي هُوَ حَبِيبُ الْقُلُوبِ كَانَ أَعْظَمَ لَوْعِهِ وَأَكْبَرَ لِنَفْعِهِ !

* فَارْجِعْ إِلَى الْحَقِّ ، صَادِقًا ، وَثِقْ بِوَعْدِ اللَّهِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران : ٩] .

☆☆☆☆

مقارنة بين حال الملحدين وحال المؤمنين

○ فقال المنصوح :

لا يخفى عليك يا أخي أَنَّ الباطلَ إِذَا دَخَلَ فِي القُلُوبِ وتمكَّن منها لا يخرج بسهولة ، فأريدُ أَنَّ تُوضِّحَ لي تَوْضِيحًا تامًّا بَطْلانَ ما عليه هؤلاء الملحدون فإنهم يُقيمون الشُّبهه المتنوعة في تزويجِ قولهم لِيَعْتَرَّ به مَنْ لا بصيرةَ له ! .

○ فقال له النَّاصِحُ :

اعلم أَنَّ الحقَّ والباطلَ مُتَقَابِلَانِ ، وَأَنَّ الخيرَ والشرَّ مُتَنَافِيَانِ .
وبمعرفةٍ واحدٍ من الضدَّين ؛ يَظْهَرُ حُسْنُ الآخِرِ أو قُبْحُهُ .
فَأُنَبِّئُكَ على وَجْهِ الإجمالِ والتنبيهِ اللطيفِ :
* إِذَا أَرَدْتَ أَنَّ تُقَابِلَ بين الأشياءِ والمُتَبَايِنَاتِ ؛ فانظُرْ إلى أساسِها الذي أُسِّسَتْ عليه ، وإلى قَوَاعِدِها التي انبنت عليها .
وانظُرْ إلى آثارِها ، ونتائجِها ، وثمراتها المُتَفَرِّعَةَ عنها .
وانظر إلى أدلَّتِها ، وبراهينِها التي بها ثبَّت .
وانظُرْ إلى ما تحتوي ، وتشتملُ عليه من الصِّلاحِ ، والمنافعِ ، ومنَ المفسادِ والمضارِّ .

فَعِنْدَ ذلك إِذَا نَظَرْتَ لهذه الأمورِ بِفَهْمٍ صَحيحِ ، وَعَقْلٍ رَجِيحِ ، ظهر لك الأمرُ عيانًا .

فَإِذَا عَرَفْتَ هذه الأُصولَ ؛ فهذا الدِّينُ الحقُّ الذي دَعَتْ إليه الرُّسُلُ عُمومًا وخاتمهم وإمامهم محمدٌ ﷺ خُصوصًا ، قد بُنِيَ وَأُسِّسَ على

التَّوْحِيدِ وَالثَّائِلِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، حُبًّا ، وَخَوْفًا ، وَرَجَاءً ، وَإِخْلَاصًا
وَإِنْقِيَادًا ، وَإِذْعَانًا لِرَبُوبِيَّتِهِ ، وَاسْتِسْلَامًا لِعِبُودِيَّتِهِ .

قَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ جَمِيعِ أُصُولِ الْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ
وَالْفِطْرِيَّةِ .

وَدَلَّتْ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ وَقَرَّرَهُ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ
وَأَتْبَاعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعُلُومِ الرَّاسِخَةِ ، وَالْأَلْبَابِ الرَّزِينَةِ ، وَالْأَخْلَاقِ الْعَالِيَةِ
وَالْآدَابِ السَّامِيَةِ .

كُلُّ أَوْلَاكَ اتَّفَقُوا عَلَى :

- أَنَّ اللَّهَ مُنْفَرِدٌ بِالْوَحْدَانِيَّةِ ، مَنْعُوتٌ بِكُلِّ صِفَةٍ كَمَالٍ ، مَوْصُوفٌ بِغَايَةِ
الْجَلَالِ وَالْعَظَمَةِ وَالْكَبْرِيَاءِ وَالْجَمَالِ .

- وَأَنَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ ، وَأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ كُلِّ صِفَةٍ نَقَصٍ
وَعَنْ مُمَاثَلَةِ الْمَخْلُوقِينَ .

- وَأَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ ، وَالْحَمْدَ ، وَالثَّنَاءَ ، وَالشُّكْرَ إِلَّا هُوَ .

فَالدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ أُسِّسَ ، وَعَلَيْهِ قَامَ وَاسْتَقَامَ .

وَأَمَّا مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْإِلْحَادِ : فَإِنَّهُ يُنَافِي هَذَا الْأَصْلَ غَايَةَ الْمَنَافَاةِ .

* فَإِنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى إِنْكَارِ الْبَارِي رَأْسًا ، فَضْلًا عَنِ الْاعْتِرَافِ لَهُ بِالْكَمَالِ
وَعَنِ الْقِيَامِ بِأَوْجِبِ الْوَاجِبَاتِ ، وَأَفْرَضِ الْفُرُوضِ ، وَهُوَ عِبُودِيَّتُهُ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ .

* فَأَهْلُ هَذَا الْمَذْهَبِ أَعْظَمُ الْخَلْقِ مُكَابِرَةً وَإِنْكَارًا لِأَظْهَرِ الْأَشْيَاءِ
وَأَوْضَحِهَا . فَمَنْ أَنْكَرَ اللَّهَ فَبَائِي شَيْءٍ يَعْتَرِفُ ؟ ﴿ فَبَائِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ

وآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿ [الجاثية : ٦] .

* وهؤلاء أبعدُ الناسِ عن عبودية الله والإنابة إليه وعن التخلُّقِ بالأخلاقِ الفاضلة التي تدعو إليها الشرائعُ ، وتخضعُ لها العقولُ الصحيحةُ .

* وَمَعَ خُلُوقِ قُلُوبِهِمْ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ وَتَوَابِعِ ذَلِكَ ، فَهُمْ أَجْهَلُ النَّاسِ وَأَقْلَهُمْ بَصِيرَةً وَمَعْرِفَةً بِشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ ، وَأُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ ، فَجَدُّهُمْ يَكْتُوبُونَ وَيَتَكَلَّمُونَ وَيَدْعُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالثَّقَافَةِ وَالْيَقِينِ مَا لَا يَصِلُ إِلَيْهِ أَكَابِرُ الْعُلَمَاءِ ، وَلَوْ طُلِبَ مِنْ أَحَدِهِمْ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَنْ أَصْلٍ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ الْعَظِيمَةِ الَّذِي لَا يَسَعُ أَحَدًا جَهْلُهُ ، أَوْ عَلَى حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فِي الْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَالْأَنْكِحَةِ لَظَهَرَ عَجْزُهُ ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ صِبْغَارِ طَلَبَةِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ .

فكَيْفَ يَثِقُ الْعَاقِلُ فَضْلًا عَنِ الْمُؤْمِنِ بِأَقْوَالِهِمْ عَنِ الدِّينِ ؟ فَأَقْوَالِهِمْ فِي مَسَائِلِ الدِّينِ لَا قِيَمَةَ لَهَا أَصْلًا .

* وَلَوْ سَبَرَتْ حَاصِلَ مَا عَلَيْهِ زُؤْسَاؤُهُمْ لَرَأَيْتَهُمْ قَدْ اسْتَعْلَوْا بِشَيْءٍ يَسِيرٍ مِنْ عُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَتَرَدَّدُوا فِي قِرَاءَةِ الصُّحُفِ الَّتِي عَلَى مَشْرَبِهِمْ ، وَتَمَرَّنُوا عَلَى الْكَلَامِ الَّذِي مِنْ جِنْسِ أُسَالِيْبٍ كَثِيرٍ مِنْ هَذِهِ الصُّحُفِ الرَّدِيئَةِ السَّاقِطَةِ ، فَظَنُّوا بِأَنْفُسِهِمْ وَظَنُّ بِهَمِ أَتْبَاعِهِمْ الْإِضْطِلَاعَ بِالْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ .

فَهَذَا أَسْمَى مَا يَصِلُونَ إِلَيْهِ فِي الْعِلْمِ .

أَمَّا الْأَخْلَاقُ :

فَلَا تَسْأَلُ عَنْ أَخْلَاقٍ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يَعْتَقِدُ الْأَدْيَانَ الصَّحِيحَةَ .

فإن الأخلاق نتائج الاعتقادات الصحيحة والفاصلة ، فغاية ما عند هؤلاء التملق القولي والفعلي ، والخضوع الكاذب للمخلوقين .

* وهم مع هذا الخضوع السافل ، تجد عندهم من العجب والكبر واختقار الخلق والاستنكاف عن مخالطة من يستنقصونهم شيئاً كثيراً . فهم أوضع خلق الله وأعظمهم كبراً وتيهاً .

* ثم إنهم يستعينون على هذا الخلق المسمى عندهم بالثقافة ، بالتصنع والتجمل بالملابس ، والفرش ، والزخارف ، ويفنون كثيراً من أوقاتهم بذلك وقلوبهم خراب خالية من الهدى والأخلاق الجميلة ، فالجمال الظاهر الباطل ماذا يُغني عن الجمال الحقيقي ؟

* ثم إذا لحظت إلى غاياتهم ومقاصدهم ؛ فإذا هي أغراض دنيئة ومقاصد سُفلية ، ومطامع شخصية .

* وإذا سبزت أحوالهم ؛ رأيتهم إذا اجتمعوا تظنهم أصدقاء مجتمعين فإذا افترقوا فهم الأعداء ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر : ١٤] .

وما وصفت لك من أحوالهم - وأنت تعرف ذلك - قليل من كثير .
* فكيف ترضى أن يكون هؤلاء أحبابك ، وأصدقاءك ، ترضى لرضاهم وتسخط لسخطهم ، وتقدمهم على حظوظك الحقيقية ، وسعادتك الأبدية ؟ .

فانظر إلى صفاتهم نظر التحقيق والإنصاف ، وقارن بينها وبين نعوت البررة الأخيار الذين امتلأت قلوبهم من محبة الله ، والإنابة إليه ، والإيمان

وإخلاصِ العَمَلِ لِأَجَلِهِ ، وَفَاضَتْ أَلْسِنُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ .
وَاشْتَغَلَتْ جَوَارِحُهُمْ فِي كُلِّ وَسِيلَةٍ تُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَتُذَنِّبُهُمْ مِنْ
رِضْوَانِهِ وَثَوَابِهِ وَنَفْعِ الْخَلْقِ .

أَشْجَعَ النَّاسِ قُلُوبًا ، وَأَصْدَقَهُمْ قَوْلًا ، وَأَطَهَّرَهُمْ أَخْلَاقًا ، وَأَزْكَاهُمْ عَمَلًا
وَأَقْرَبَهُمْ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ ، وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ كُلِّ شَرٍّ .

يَكْفُونَ عَنِ الْخَلْقِ الْأَذَى ، وَيَيْتَذَلُّونَ لَهُمْ ، وَيَصْبِرُونَ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى .
أَفْتَقَدُّمُ عَلَى هَوْلَاءِ الْأَنْجَابِ الْغُرِّ مَنْ مَلِئَتْ قُلُوبُهُمْ مِنَ الشُّكِّ وَالنَّفَاقِ
وَفَاضَتْ عَلَى ظَاهِرِهِمْ ؛ فَاصْتَبُوا لِذَلِكَ أَرْذَلَ الْأَخْلَاقِ .

يَقُومُونَ بِالنَّفَاقِ ، وَالرِّيَاءِ ، وَيَقْعُدُونَ بِالتَّمَلُّقِ ، وَالْإِعْجَابِ ، وَالْكِبْرِيَاءِ .
وَصَفَّهُمُ الْقَسْوَةَ ، وَالطَّمْعَ ، وَالْجَشْعَ .

وَنَعْتُهُمُ الْكَذِبَ ، وَالْغِشَّ ، وَالْبَهْرَجَةَ ، وَالْخُنُوعَ .

قَدْ مَنَعُوا إِحْسَانَهُمْ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ ، وَاتَّصَفُوا بِكُلِّ فُسُوقٍ .

قَدْ خَضَعُوا فِي بُحُوثِهِمُ الْعِلْمِيَّةِ لِكُلِّ مَارِقٍ .

وَتَبِعُوا فِي أَخْلَاقِهِمْ كُلَّ رَذِيلٍ ، وَفَاسِقٍ .

☆☆☆☆

الطريق للسعادة الدنيوية والأخروية

○ قال المنصوح :

والله ما تعدّيت في وصفهم مثقال ذرة ، ولكنني أريد أن تدلني على طريق يجمع بين السعادة الدنيوية والسعادة الأخروية ؛ لأنّ نفوس من ترزى وتخلق بأخلاق هؤلاء لا تزجع عمّا ألفتة إلا بأمر قوي ، إمّا بترغيب وهوى يجذبها ، وإمّا بترهيب وخوف يقمعها .

○ فقال له صاحبه الناصح :

والله لقد أدركت في هذا الدين مطلوبك ، وفيه - والله - كلُّ مرادك ومزغوبك .

فإنّه الدين الذي جمع بين سعادة الدنيا والآخرة .

وفيه : اللذات القلبية ، والروحية ، والجسدية ، ولا تفقد من مطالب النفوس الحقيقية شيئاً إلا أدركته ، ولا من أنواع المسرات شيئاً إلا حصلته فيه ما تشتهيهِ الأنفس وتلدُّ الأعين . وسأوضح لك ذلك :

فاعلم أنّ أصول اللذات المطلوبة هي :

أولاً : راحة القلوب ، وسكونها ، وطمأنينتها ، وفرحها ، وبهجتها وزوال همومها ، وغمومها .

ثانياً : القناعة ، والطمأنينة بما أوتيته العبد من المطالب الجسدية .

ثالثاً : استعمال ذلك على وجه يحصل به الشور والاعتباط .

فهذه الأمور الثلاثة من رزقها ، واستعملها على وجهها ؛ فقد نال كلُّ ما

- تعلق به طَمَعُ الطَّامِعِينَ ، فَإِنَّ جَمِيعَ اللِّذَاتِ تَرْجِعُ إِلَى مَا ذَكَرْنَا .
- * فَأَمَّا لَذَاتِ الْقُلُوبِ ، وَحُضُورُ سُورِهَا ، وَزَوَالُ كَدَرِهَا :
- فَإِنَّمَا أَصْلُ ذَلِكَ بِالْإِيمَانِ التَّامِّ بِمَا دَعَا اللَّهُ عِبَادَهُ لِلْإِيمَانِ بِهِ .
- * مِنَ الْإِيمَانِ بِتَوْحِيدِهِ بِجَمِيعِ نُعُوتِ الْكَمَالِ ، وَامْتِلَاءِ الْقَلْبِ مِنْ تَعْظِيمِهِ وَإِجْلَالِهِ وَمِنَ التَّأَلُّهِ لَهُ ، وَعِبُودِيَّتِهِ ،
- * وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ ، وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ لَوَجْهِهِ الْأَعْلَى .
- * وَمَا يَتَّبَعُ ذَلِكَ مِنَ التُّضْحِ لِعِبَادِ اللَّهِ ، وَمَحَبَّةِ الْخَيْرِ لَهُمْ ، وَبَدَلِ الْمَقْدُورِ مِنْ نَفْعِهِمْ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ .
- * وَالْإِكْتِسَابِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ .
- فَمَنْ أُوتِيَ هَذِهِ الْأُمُورَ ؛ فَقَدْ حَصَلَ لِقَلْبِهِ مِنَ الْهِدَايَةِ ، وَالرَّحْمَةِ ، وَالنُّورِ وَالسُّرُورِ ، وَزَوَالِ الْأَكْدَارِ ، وَالْهُمُومِ ، وَالْغُمُومِ ؛ مَا هُوَ نُمُودَجٌّ مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ .
- وَأَهْلُ هَذَا الشَّأْنِ لَا يَغْبِطُونَ أَرْبَابَ الدُّنْيَا ، وَالْمُلُوكَ ، عَلَى لَذَاتِهِمْ وَرِيَّاسَاتِهِمْ ، بَلْ يَرَوْنَ مَا أُعْطَوْهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ يَفُوقُ مَا أُعْطِيَهُ هَؤُلَاءِ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ .
- وَهَذَا النَّعِيمُ الْقَلْبِيُّ لَا يَعْرِفُهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ إِلَّا مَنْ ذَاقَهُ وَجَرَّبَهُ .
- فَإِنَّهُ كَمَا قِيلَ :
- مَنْ ذَاقَ طَعْمَ نَعِيمِ الْقَوْمِ يَدْرِيهِ وَمَنْ ذَرَاهُ غَدَاً بِالرُّوحِ يَشْرِيهِ
- فَهَذَا إِشَارَةٌ لَطَرِيقِ هَذَا النَّعِيمِ الْقَلْبِيِّ الَّذِي هُوَ أَصْلُ كُلِّ نَعِيمٍ .
- وَأَمَّا الْأَمْرُ الثَّانِي :

فإنَّ اللهَ أعطى العبادَ القُوَّةَ والصَّحَّةَ ، وما يَتَّبِعُ ذلكَ من مالٍ وأهلٍ وولَدٍ
وَحَوْلٍ وغيرِها .

* والنَّاسُ بالنسبةِ لهذه الأشياءِ نوعانِ :

* قِسْمٌ صارت هذه النِّعَمُ في حَقِّهم مِحْنًا ، وَنِقْمًا .

* وَقِسْمٌ صَارَ في حَقِّهم نَهْمًا ، وَخَيْرَاتٍ ، وَمِنْهَا .

أَمَّا أَهْلُ الدِّينِ الحَقِيقِيِّ : فقد قَابَلُوا هذه النِّعَمَ وتَلَقَّوْهَا على وَجْهِ الشُّكْرِ
لِلَّهِ ، والَاغْتِبَاطِ بِفَضْلِهِ ، وتَنَاوَلُوا على وَجْهِ الاستِعَانَةِ بِهَا على طَاعَةِ
الْمُنْعِمِ .

وَعَلِمُوا أَنَّهَا من أَكْبَرِ الوَسَائِلِ لَهُم إلى رِضَى رَبِّهِمْ ، وَخَيْرِهِ ، وثَوَابِهِ إِذَا
اسْتَعْمَلُوا فِيهَا هَيْئَتَ لَهُ ، وَخُلِقَتْ لَهُ .

وقد رَضُوا بِهَا عن اللهِ كُلِّ الرِّضَى ، فَإِنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّهَا من عِنْدِ اللهِ الَّذِي
لَهُ الحِكْمَةُ التَّامَّةُ في جَمِيعِ أَقْضِيَّتِهِ وَأَقْدَارِهِ ، وَلَهُ الرَّحْمَةُ الوَاسِعَةُ في جَمِيعِ
تَدَايِيرِهِ ، وَلَهُ النِّعْمَةُ السَّابِغَةُ في كُلِّ عَطَايَاهُ ، وَهُوَ أَرْحَمُ بِهِم من الخَلْقِ
أَجْمَعِينَ .

فحيثُ عَلِمُوا العِلْمَ اليَقِينِيَّ صُدُّورَهَا مِنْ هَذَا شَأْنُهُ ؛ قَنَعُوا بِمَا أُعْطَوْهُ مِنْهَا
من قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ ، كُلِّ القِنَاعَةِ ، وَسَكَنَتْ قُلُوبُهُم عن التَطَلُّعِ ، وَالتَطَلُّبِ لِمَا
لَمْ يُقَدَّرْ لَهُمْ .

ومتى حَصَلَتِ الطَّمَأْنِينَةُ ، والقِنَاعَةُ ، والرِّضَى عن اللهِ بما أُعْطِيَ ، فقد
حَصَلَتِ الحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ .

فإِذَا أَدْرَكَتْ حَقَّ الإدْرَاكِ نَعْتَهُمْ هَذَا ؛ عَرَفَتْ أَنَّ نعيمَ الدُّنْيَا في الحَقِيقَةِ

هو نعيم القناعة برزق الله وطمانينة القلوب بذكر الله وطاعته .
 وأن الواحد من هؤلاء لو لم يكن عنده من هذه الأمور وهي القوة
 والصحة والمال والأهل والولد وتوابع ذلك إلا الشيء القليل لكان في راحة
 وسرور من جهتين :

- جهة القناعة وعدم تطلع النفس وتشوقها للأمور التي لم تحصل .
 - وجهة ما تزجوه من ثواب الله العاجل ، والآجل ؛ على هذه العبادة
 القلبية التي تزيد على كثير من العبادات البدنية .
 فإن التعبّد لله بمعرفة نعمه والاعتراف بها ، والرضى بها ، والرجاء لله أن
 يديمها ويتممها ، وأن يجعلها وسيلة إلى نعم أخرى ، وأن يجعلها طريقاً
 للسعادة الأبدية .

لا ريب أن هذه الأحوال القلبية ، من أفضل الطاعات وأجل القربات .
 فكم بين سرور هذا الذي تعبّد بروح الدين ، وحصلت له الحياة الطيبة
 وبين من تلقى هذه النعم بالغفلة ، وعدم الاعتراف بنعمة المنعم وشقي
 بهمومها وغمومها ، وكان إذا حصل له شيء من مطالب النفوس لم
 يرضى به ، بل تشوّف إلى غيره وتطلع لسواه .
 فهذا يتنقل من كدر إلى كدر آخر ؛ لأن قلبه قد تعلق تعلقاً شديداً
 بمطالب الجسد ، فحيث جاءت على خلاف ما يؤمله ويريد ؛ قلق أشد
 القلق ، وهو لا يزال في قلق مستمر ؛ لأن المطالب النفسية متنوعة جداً ،
 فلو وافقه واحد لم يوافقه الآخر .

وزبما اجتمع في الشيء الواحد سرور من وجه ، وحزن من وجه آخر ،

فَصَفْوُهُ مَمْرُوجٌ بِكَدْرِهِ ، وَسُرُورُهُ مُخْتَلِطٌ بِحَزْنِهِ .

فَأَيْنَ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ لِهَذَا !؟ .

وَأِنَّمَا الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ لِأَرْبَابِ الْبَصَائِرِ وَالْحِجَجِي ، الَّذِينَ يَتَلَقَّوْنَهَا كُلَّهَا بِالْقَبُولِ وَالْقِنَاعَةِ وَالرِّضَى .

وَأَمَّا الْأَمْرُ الثَّلَاثُ ، وَهُوَ جِهَةٌ اسْتِعْمَالِ هَذِهِ النَّعْمِ :

فَصَاحِبُ الدِّينِ الصَّحِيحِ :

* يَتَنَاوَلُهَا عَلَى وَجْهِ الشُّكْرِ لِلَّهِ عَلَى نِعْمِهِ ، وَالْفَرَحِ بِفَضْلِهِ .

* وَيُنَوِي بِهَا التَّقْوَى عَلَى مَا خُلِقَ لَهُ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ .

* وَيُنْفِقُهَا مُحْتَسِبًا بِهَا رِضَى اللَّهِ وَفَضْلَهُ وَخَلْفَهُ الْعَاجِلَ وَالْآجِلَ .

* وَيَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ أَوْ وَلَدِهِ أَوْ مَنْ يَتَّصِلُ بِهِ ، فَإِنَّمَا نَفَقَتُهُ

صَادَفَتْ مَحَلَّهَا وَوَقَعَتْ مَوْقِعَهَا .

فَلَمْ يَتَنَاقَلْ كَثْرَةَ النِّفْقَةِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ مُعْتَقِدًا : هَذَا أَوْلَى مَا

بِذَلِكَ فِيهِ مَالِي ، وَهَذَا أَلْزَمٌ مَا قَمْتُ بِهِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ وَالْفُرُوضِ ، وَهَذَا

خَيْرٌ مَا قَمْتُ بِهِ مِنَ الْمُسْتَحَبَّاتِ ، وَهَذَا أَعْظَمُ مَا أَرْجُو لَهُ الْخَلْفَ مِنَ اللَّهِ

حَيْثُ يَقُولُ وَهُوَ الْكَرِيمُ الْوَفِيُّ : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ

خَيْرُ الْرَازِقِينَ ﴾ [سبأ : ٣٩] .

وَلَا يَزَالُ نُضِبَ عَيْنِيهِ احْتِسَابُ الْأَجْرِ فِي سَعْيِهِ بِكَسْبِهِ ، وَفِي مَصْرَفِهِ

أَجْنَاسَ ذَلِكَ وَأَنْوَاعَهُ وَأَفْرَادَهُ ، مُتَفَطِّنًا لِقَوْلِهِ ﷺ : « إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً

تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُهُ فِي فِي امْرَأَتِكَ » (١) .

فَمَنْ كَانَ هَذَا وَصْفَهُ فَإِنَّ لَذَاتِهِ الدُّنْيَوِيَّةَ هِيَ اللَّذَاتُ الْحَقِيقِيَّةُ السَّالِمَةُ مِنْ

الأكدارِ مِمَّا يَرِجُو مِنَ الثَّوَابِ العَاجِلِ وَالآجِلِ مِنَ اللَّهِ .
وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ ؛ سَهَّلَ عَلَيْهِ الْأَخْذُ مِنْ جِلِّهَا ، وَوَضَعَهَا فِي
مَحَلِّهَا ، وَيُسِّرَتْ لَهُ أُمُورَهُ غَايَةَ التَّيْسِيرِ .

وَأَمَّا مَنْ اسْتَعْمَلَ هَذِهِ النَّعْمَ عَلَى وَجْهِ الشَّرِّ وَالغَفْلَةِ ، وَلَمْ يُفَكِّرْ فِي
الاعْتِرَافِ بِفَضْلِ اللَّهِ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ ، وَيَنْعَمَ اللَّهُ ، وَلَمْ يَفْرَحْ بِالنَّعْمِ ؛
لَأَنَّهَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ، بَلْ فَرِحَ بِهَا فَقَطْ لِمُوَافَقَةِ غَرَضِهِ النَّفْسِيِّ وَلَا نَوَى بِهَا
الاستِعَانَةَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَلَا اخْتَسَبَ فِي نَيْلِهَا وَصَرَفَهَا عَلَى الْمُنْفَقِ
عَلَيْهِمُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ .

فَمَنْ كَانَ هَذَا وَصْفَهُ ؛ فَإِنَّ الْكَدَرَ وَالْحُزْنَ لَهُ بِالْمُرْصَادِ !

فَإِنَّهُ إِذَا فَاتَتْهُ بَعْضُ الشَّهَوَاتِ النَّفْسِيَّةِ حَزِنَ !

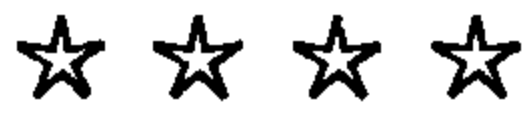
وَإِنْ أَدْرَكَ مَا أَدْرَكَ مِنْهَا وَلَمْ يَكُنْ عَلَى مَا فِي خَاطِرِهِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ حَزِنَ !
وَإِنْ أَرَادَ مِنْهُ وَلَدُهُ وَمَنْ يَتَّصِلُ بِهِ نَفَقَةً أَوْ كَسْوَةً وَاجِبَةً أَوْ مُسْتَحَبَّةً حَزِنَ ،
وَلَمْ تَخْرُجْ مِنْهُ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ !

وَإِنْ خَرَجَتْ مِنْهُ خَرَجَ مَعَهَا بَضْعَةٌ مِنْ سُرُورِ قَلْبِهِ ؛ لِأَنَّهُ يُحِبُّ بَقَاءَ مَالِهِ
وَيَحْزَنُ لِنَقْصِهِ عَلَى أَيِّ وَجْهِ كَانَ ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ الْاِخْتِسَابِ مَا يُهَوِّنُ
عَلَيْهِ الْأَمْرَ !

هَذَا إِنْ كَانَ غَيْرَ بَخِيلٍ ، فَإِنْ كَانَ شَحِيحِ النَّفْسِ مَطْبُوعًا عَلَى الْبُخْلِ فَإِنَّ
حَيَاتِهِ مَعَ أَوْلَادِهِ وَأَهْلِهِ وَالْمُتَّصِلِينَ بِهِ حَيَاةً شَقَاءً وَعَذَابٍ وَأَكْدَارٍ مُتَوَاصِلَةٍ ،
وَأَحْزَانٍ مُسْتَمِرَّةٍ .

لَا إِيمَانَ عِنْدَهُ يُهَوِّنُ عَلَيْهِ النَّفَقَاتِ ، وَلَا نَفْسًا سَخِيَّةً لَا تَسْتَعْصِي عَنْ نَيْلِ

المكْرَمَاتِ ، فَيَا لَهُ مِنْ عَذَابٍ حَاضِرٍ وَعَذَابٍ مُسْتَمِرٍّ .
فَأَيْنَ هَذَا مِنْ ذَاكَ الَّذِي حَصَلَتْ لَهُ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ بِأَكْمَلِهَا ؟
هَذَا كُلُّهُ بِالنَّظَرِ إِلَى هَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ اللَّذَاتِ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ
قَدْ اتَّضَحَ لَنَا أَنَّ صَاحِبَ الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ ؛ هُوَ الَّذِي فَازَ بِاللَّذَاتِ الْحَقِيقِيَّةِ
وَسَلِمَ مِنَ الْمَكْدُرَاتِ .



﴿ مقارن بين حال المؤمن وغير المؤمن عند المصائب ﴾

ثُمَّ إِذَا عَطَفْنَا النَّظَرَ إِلَى الطَّوَارِيءِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي لَا بُدَّ لِكُلِّ عَبْدٍ مِنْهَا وَهِيَ الْمُصِيبَاتُ الَّتِي تَعْتَرِي الْعِبَادَ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْمُتَنَوِّعَةِ ، وَمَوْتِ الْأَحِبَّةِ ، وَفَقْدِ الْأَمْوَالِ وَنَقْصِهَا وَوُقُوعِ الْمَكَارِهِ بِمَنْ تُحِبُّ ، وَزَوَالِ الْمَحَابِّ ، وَغَيْرِهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْمَصَائِبِ دَقِيقِهَا وَجَلِيلِهَا .

* رَأَيْتَ الْمُؤْمِنَ حَقًّا قَدْ تَلَقَّاهَا بِقُوَّةٍ وَصَبْرٍ وَاحْتِسَابٍ ، وَقَدْ قَامَ لَهَا بَارْتِقَابَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ وَعَلِمَ أَنَّهَا تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، وَأَنَّهَا أَقْضِيئُهُ صَدَرَتْ مِنَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ ، فَهَانَ عَلَيْهِ أَمْرُهَا وَخَفَّتْ عَلَيْهِ وَطَأَّتْهَا .

فَإِنَّهُ إِذَا فَكَّرَ فِيهَا مِنْ الْأَلَامِ الشَّاقَّةِ قَابَلَهَا بِمَا تَتَضَمَّنُهُ مِنْ تَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ وَتَكْثِيرِ الْحَسَنَاتِ ، وَرِفْعَةِ الدَّرَجَاتِ ، وَالتَّخْلُقِ بِأَخْلَاقِ الْكِرَامِ وَالْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَإِذَا أَنْهَكَتْ بَدَنَهُ وَمَالَهُ رَأَاهَا مُضْلِحَةً لِقَلْبِهِ وَرُوحِهِ . فَإِنَّ صَلَاحَ الْقُلُوبِ بِالشُّكْرِ لِلَّهِ عَلَى نِعَمَائِهِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى بَلَائِهِ ، وَانْتِظَارِ الْفَرَجِ مِنَ اللَّهِ إِذَا أَلَمَّتْ الْمَلِمَاتُ ، وَاللَّجُوءِ إِلَى اللَّهِ عِنْدَ جَمِيعِ الْمُرْجِعَاتِ وَالْمُقْلِقَاتِ .

فَأَقْلُ الْأَحْوَالِ عِنْدَ هَذَا الْمُؤْمِنِ : أَنْ تَتَقَابَلَ عِنْدَهُ الْمَصَائِبُ وَالْمَحَابِّ وَالْأَفْرَاحُ وَالْأَتْرَاحُ .

وَقَدْ تَصِلُ الْحَالُ بِخَوَاصِّ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنْ أَفْرَاحَهُمْ وَمَسَرَّتَاتِهِمْ عِنْدَ الْمُصِيبَاتِ تَزِيدُ عَلَى مَا يَحْضُلُ فِيهَا مِنَ الْحُزْنِ وَالْكَدْرِ الَّذِي جُبِلَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ .

فَأَيْنَ هَذِهِ الْحَالُ مِنْ حَالِ مَنْ تَلَقَّى الْمُصِيبَاتِ الَّتِي لَا بُدَّ لِلخَلْقِ مِنْهَا بِقَلْبِ

مُنزَعَجٍ مَرعُوبٍ ، وَخَشَعَتْ نَفْسُهُ الْمَهِينَةَ لِمَا فِيهَا مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْكُرُوبِ ،
فَبَقِيَتْ الْحَسْرَاتُ تَنْتَابُ قَلْبَهُ وَرُوحَهُ ، وَزَادَتْ مَصَائِبُ قَلْبِهِ عَلَى مَصَائِبِ
بَدَنِهِ ؟

ليس عنده من الصَّبْرِ ، وارتقابِ الثوابِ ما يُخَفِّفُ عنه الأَحْزَانَ ، ولا من
الإيمانِ ما يُهَوِّنُ عنه الأشْجَانَ ، تَعْتَرِيهِ المَصَائِبُ فلا تَجِدُ عنده ما يُخَفِّفُهَا
فَتَعْمَلُ عَمَلَهَا فِي قَلْبِهِ وَرُوحِهِ وَبَدَنِهِ وَأَحْوَالِهِ كُلِّهَا .

القلبُ مَلِيءٌ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْأَلَمِ ، وَالْخَوْفِ السَّابِقِ وَاللَّاحِقِ قَدْ مَلَأَ
نَفْسَهُ ، فَانْحَلَّ لِذَلِكَ لُبُّهُ وَأَنْحَطَمَ ، وَقَدْ ضَعُفَ تَوَكُّلُهُ عَلَى اللَّهِ غَايَةَ
الضَعْفِ حَتَّى صَارَ قَلْبُهُ يَتَعَلَّقُ بِمَنْ يَرْجُو نَفْعَهُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ !!

فِيآلِهَا مِنْ مَصَائِبَ دُنْيَوِيَّةٍ اتَّصَلَتْ بِالْمَصَائِبِ الدِّينِيَّةِ وَالْخَلْقِيَّةِ ، وَتَرَكَم
بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ حَتَّى صَارَ عِنْدَهُ أَعْظَمَ مِنَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي .

فَوَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ أَهْلُ الْبَلَاءِ وَالْمَصَائِبِ بِمَا فِي الْإِيمَانِ وَالرُّوحِ [مِنْ] التَّسْلِيَةِ
وَالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ لَسَارَعُوا إِلَيْهِ ، وَلَوْ فِي هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي هُمْ فِيهَا مُضْطَرُّونَ إِلَى
مَا يُخَفِّفُ عَنْهَا آلامَهُمْ ، وَلَا يَجِدُونَهُ إِلَّا فِي الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ الْحَقِيقِيِّ ،
وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ .

☆☆☆☆

◀ حال المؤمن وغير المؤمن في معاشرته الخلق ▶

ومَّا يتعلَّقُ به سُرورُ الحياة ، ونعيمُها ، أو همُّها وغمُّها : مُعَاشَرَةُ الخَلْقِ على اختلافِ طبقاتِهِمْ .

* فَمَنْ عَاشَرَهُمْ بما يدعو إليه الدِّينُ استراح .

* وَمَنْ عَاشَرَهُمْ بحسبِ ما تَدْعُو إليه الأغراضُ النفسِيَّةُ ؛ فلا بُدَّ أن يكونَ عَيْشُهُ كَدْرًا ، وحيَاثُهُ مُنْعَصَةً ..

وتوضيحُ ذلك أن :

النَّاسَ ثلاثةَ أصنافٍ : رئيسٌ ، ومرؤوسٌ ، ونظيرٌ .

* أَمَّا مَنْ له رِياسَةٌ حُكْمٍ ، أو ثروةٌ ، وله أتباعٌ وحاشيةٌ .

فله معهم حالان :

- حالةٌ فيما يفعلُهُ معهم .

- وحالةٌ فيما يُصِيبُهُ من أتباعِهِ من خيرٍ وشرٍّ ، وموافقٍ للطبعِ ومُخالفٍ له .

فإن هو حَكَمَ الدِّينَ والشَّرْعَ ، في الحالتَيْنِ استراحَ ، وَلَهُ أَجْرٌ من الله ، إذا

استعملَ العَدْلَ معهم ، واستعملَ النُّصْحَ والإحسانَ ، وقابلَ المُسيءَ منهم

بالعفوِ ، وشكرَهُم على فِعْلِ المعروفِ والخيرِ ، مُبتَغِيًا بذلكَ وَجْهَ الله .

وأيضًا : فَإِنَّهُ إذا تأمَّلَ فيما فَعَلَهُ من خيرٍ ؛ اطمأنتَ نفسُهُ ، وانشرحَ

صَدْرُهُ .

فأينَ هذا من الرَّئيسِ الذي لا يُيالي بِظلمِ النَّاسِ في دِمَائِهِم وأموالِهِم

وأغراضِهِم ، ولا يُيالي بِسلوكِ طُرُقِ العَدْلِ والإنصافِ ، وليس له صبرٌ

على آية أذية تُصيبه من رعيته ؟

فهو مع أتباعه في نكدي مُستمر ، ورعيته قد ملئت قلوبهم من مقتته وبُغضه ، يترَبصون به الدوائر والفُرص ، حتى إذا وَقَعَ في أقلُّ شيء أعانوا عليه ، أعدى أعدائهم ، فهو معهم غير مُطمئن على حياته ولا على نعمته ، لا يدرى متى تَفجؤُه البلايا ، ليلاً أو نهاراً !
هذه حالة الرئيس على وجه الإجمال .

* وأما حالة المرؤوس :

* فإن أطاع الدين في وظيفته ، وأطاع حاكمه أو سيده ، أو والده ، واستعمل الآداب الشرعية في معاملته ، والأخلاق المرضية .
فهو مع طاعته لله ولرسوله قد استراح وأراح ، وطابت عنه نفس رئيسه ، وأمن عقوبته ، وأمل إحسانه وبره ومحبته .

* وأما من تعدى طوره وعصى متبوعه والتوى : فإنه لا يزال متوقفاً لأنواع المضار ، يمشي خائفاً وجللاً لا يقرُّ له قرا ، ولا يستريح له خاطر .
* وأما حالة النظير المساوي :

فإن جمهور من تعاشرهم من الخلق إذا خالقتهم بالخلق الحسن ، اطمأنت نفسك ، وزالت عنك الهموم ؛ لأنك تكتسب بذلك مودتهم ، وتُخمد عداوتهم ، مع ما تزجوه من عظيم ثواب الله على هذه العشرة التي هي من أفضل العبادات .

فإن العبد يبلغ بحسن خلقه ، درجة الصائم القائم . وحسن الخلق له خاصية في فرح النفس ، لا يعرف ذلك حق معرفته إلا المجربون ..

* فأين حال هذا ممن عاشر الناس بأسوأ الأخلاق ، فخيرُهُ ممنوعٌ ، وشرُّهُ غيرُ مأمون ، وليس له أقلُّ صبرٍ على ما يناله من المكدرات .

فهذا قد تنغصت عليه حياته ، وحضرته همومه وحسراته ، فهو في عناءٍ حاضِرٍ ، ويخشى من الشقاء الآجل ..

* وأما معاشرته مع أهله وأولاده ومن يتصلُّ به : فإنه يتأكد عليه القيام بالحقوق اللازمة تامة لا نقص فيها ولا تبرُّم .

فمن عامل هؤلاء بما أمر الله ورسوله ، راجياً بقيامه به ثواب ربه ورضاه ، عاش معهم عيشة راضية .

ومن كان معهم في نكدٍ وسوءٍ خلقي مع الصغير والكبير ، يخرج من بيته غضبان ، ويدخل على أهله وولده متكدرًا ملآن ، فأى حياة لمن كانت هذه حاله ؟ وما الذي يزوجوه حيث ضيع ما فيه فرحه ومسراته ؟

* وأما عشرته مع معامليه : فإن استعمل معهم النصح ، والصدق . وكان سمحًا إذا باع ، سمحًا إذا اشترى ، سمحًا إذا قضى ، سمحًا إذا اقتضى حصلت له الرحمة ، وفاز بالشرف ، والاعتبار ، واكتسب مودة معامليه ودوام معاملتهم .

ولا يخفى ما في ذلك من طيب الحياة ، وسرور النفس ، وما في ضدها من سوء الحال وسقوط الشرف ، وتنغص الحياة .

والفارق بين الرجلين هو الدين ، فصاحب الدين مُنْبَسِطُ النفس ، مُطْمَئِنُّ القلب ..

فقد تبين لك أن السعادة واللذة الحقيقية بجميع أنواعها تابعة للدين ..

لذة من تمسك بالدين

واعلم يا أخي أن الدين نوعان :

أحدهما : أعمال وأحوال وأخلاق دينية ودنيوية .

وكما ذكرنا أنه لا سبيل إلى حصول الحياة الطيبة إلا بالدين .

والثاني : علوم ومعارف نافعة .

وهي علوم الشرع والدين ، وما يُعين عليها ويُتوصل إليها به .

فلاشتغال بها من أجل العبادات ، وحصول ثمرتها من أكمل اللذات ،

ولا يُشبهه شيء من اللذات الدنيوية .

واعتبر ذلك بحال الراغبين في العلم تجد أكثر أوقاتهم مصروفة في

تحصيل العلم . فيمضي الوقت الطويل ، وصاحبه مُستغرق فيه يتمنى

امتداد الزمن . وهذا عنوان اللذة ، فإن المشتاق يقصر عنده الوقت الطويل

ومن ضاق صدره بشيء يطول عليه الوقت القصير .

وذلك أن صاحب العلم في كل وقت ، مُستفيد علومًا يزداد بها إيمانه ،

وتكمل بها أخلاقه ، والمتصفح للكتب النافعة ، لا يزال يعرض على ذهنه

عقول الأولين والآخرين ومعارفهم وأحوالهم الحميدة ، وضدّها .

ففي ذلك مُعتبر لأولي الألباب ! . فكم من قصة تمر عليك في الكتب

تكتسب بها عقلًا جديدًا ، وتُسليك عند المصائب ، بما جرى على الفضلاء

وكيف تلقوها بالرضا والتسليم ، واغتنموا الأجر من العليم الحكيم .

والعلم يُعرفك طرقًا تُدرك بها المطالب ، وتدفع بها المكاره والمضار .

العقل عقْلان

والعقلُ عَقْلانٍ :

١. عقلٌ غريزيٌّ :

وهو ما وَضَعَهُ اللهُ في الإنسانِ ، من قُوَّةِ الذُّهْنِ في أمورِ الدِّينِ والدُّنيا .

٢. وعقلٌ مُكْتَسَبٌ :

إذا انْضَمَّ إلى العقلِ الغريزيِّ ازداد صاحِبُهُ حَزْمًا وَبَصِيرَةً .

فكما أنَّ العقلَ الغريزيَّ ينمو بنموِّ الإنسانِ حتى يبلغَ أَشُدَّهُ ؛ فكذلك العقلُ المُكْتَسَبُ له مادَّتانِ للنُّموِّ :

* مادةُ الاجْتِمَاعِ بِالْعُقْلَاءِ والاستفادَةِ من عُقولِهِم وتجارِبِهِم :

تارةً بالاقْتِداءِ ، وتارةً بِمُشاوَرَتِهِم ومُباحَثَتِهِم .

فكم تَرَقَّى الرَّجُلُ بهذه الحالِ إلى مَرَاقِي الفلاحِ .

ولهذا كانَ انزواءُ الرَّجُلِ عن النَّاسِ يُفَوِّتُهُ خَيْرًا كَثِيرًا وَنَفْعًا جَلِيلًا ، مَعَ ما يُحْدِثُهُ الاعتزالُ من الخيالاتِ ، وسوءِ الظَّنِّ بالناسِ ، والإعجابِ بالنفسِ الذي يُعَبِّرُ عن نَقْصِ الرَّجُلِ ، ورُبَّمَا ضَرَّ البَدَنَ ، فإنَّ مُخالَطَةَ النَّاسِ تفتَحُ أبوابًا من المَصالِحِ ، تُسَلِّيكَ ، وتُقَوِّي قَلْبَكَ .

وفي ضَعْفِ القَلْبِ ضَرَرٌ عَلَى العَقْلِ ، وَضَرَرٌ عَلَى الدِّينِ ، وَضَرَرٌ عَلَى الأخلاقِ ، وَضَرَرٌ عَلَى الصِّحَّةِ .

ويَتَبَغَى للإنسانِ أَنْ يُعَامِلَ النَّاسَ ، بِحَسَبِ أحوالِهِم ، كما كانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَسِّنُ خُلُقَهُ مع الصَّغِيرِ والكَبِيرِ .

قال تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ .. ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

أي : تُحَدِّثُ مَا صَفَا لَكَ مِنْ أَخْلَاقِ الْخَلْقِ ، وَدَعَّ عَنْكَ مَا تَعَسَّرَ مِنْهَا ..
فَيُجَالِسُ أَبْنَاءَ الدُّنْيَا بِالْأَدَبِ وَالْمَرْوَعَةِ ، وَالْأَكَابِرَ بِالتَّوْقِيرِ ، وَالْإِخْوَانَ
وَالْأَصْحَابَ بِالْإِنْبِسَاطِ ، وَالْفُقَرَاءَ بِالرَّحْمَةِ وَالتَّوَاضُّعِ ، وَأَهْلَ الْعِلْمِ وَالِدِّينِ
بِمَا يَلِيْقُ بِفَضْلِهِمْ ..

فَصَاحِبُ هَذَا الْخَلْقِ الْجَلِيلِ تَرَاهُ مُبْتَهَجَ النَّفْسِ فِي حَيَاةٍ طَيِّبَةٍ ..
* وَأَمَّا الْمَادَّةُ الثَّانِيَةُ لِلْعَقْلِ الْمُكْتَسَبِ ، فَهِيَ : الْإِشْتِغَالُ بِالْعُلُومِ النَّافِعَةِ .
فَتَسْتَفِيدُ بِكُلِّ قَضِيَّةٍ رَأْيًا جَدِيدًا ، وَعَقْلًا سَدِيدًا ، وَلَا يَزَالُ الْمُشْتَغِلُ بِالْعِلْمِ
يَتَرَقَّى فِي الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ وَالْأَدَبِ .

وَالْعِلْمُ يُعَرِّفُكَ بِاللَّهِ ، وَكَيْفَ الطَّرِيقِ إِلَيْهِ ؟
يُعَرِّفُكَ كَيْفَ تَتَوَسَّلُ بِالْأُمُورِ الْمُبَاحَةِ إِلَى أَنْ تَجْعَلَهَا عِبَادَةً تُقَرِّبُكَ إِلَى اللَّهِ .
وَالْعِلْمُ يَقُومُ مَقَامَ الرِّيَاسَاتِ وَالْأَمْوَالِ .
فَمَنْ أَدْرَكَ الْعِلْمَ فَقَدْ أَدْرَكَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَمَنْ فَاتَهُ الْعِلْمُ فَاتَهُ كُلُّ شَيْءٍ .
وَكُلُّ هَذَا فِي الْعُلُومِ النَّافِعَةِ .

وَأَمَّا كُتُبُ الْخُرَافَاتِ وَالْمَجُونِ فَإِنَّهَا تُحَلِّلُ الْأَخْلَاقَ ، وَتُفْسِدُ الْأَفْكَارَ
وَالْقُلُوبَ ، بِحَثِّهَا عَلَى الْإِقْتِدَاءِ بِأَهْلِ الشَّرِّ ، وَهِيَ تَعْمَلُ فِي الْإِيمَانِ
وَالْقُلُوبِ عَمَلَ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ ..

فَلَمَّا تَلَا النَّصِيحُ لِصَاحِبِهِ هَذِهِ الْمَوَاضِيْعَ ، وَبَرَّهَنَ عَلَيْهَا ..

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة المصنف
٦	الاحتجاج على الدين بتفريط المسلمين ظلم مبین !!
١٠	حضارة ظاهرها مزخرف مُزَوَّق وباطنها خراب
١٣	الرفقة الصالحة وخطر البعد عنها
١٥	مقارنة بين حال الملحدين وحال المؤمنين
٢٠	الطريق للسعادة الدنيوية والأخروية
٢٧	مقارن بين حال المؤمن وغير المؤمن عند المصائب
٢٩	حال المؤمن وغير المؤمن في معاشرة الخلق
٣٢	لذة من تمسك بالدين
٣٣	العقل عقلاَن
٣٥	توبة ورجوع إلى الله
٣٦	فهرس الموضوعات

صدر حديثًا من منشوراتنا

من مؤلفات العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي
باعتناء وتعليق أبي محمد أشرف بن عبد المقصود

- ١- التبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه « العقيدة الواسطية » من المباحث المنيفة .
- ٢- الدرّة البهيّة شُرْحُ القصيدَةِ التائيّةِ في حَلِّ المُشكِلةِ القَدْرِيّةِ لشيخ الإسلام ابن تيمية .
- ٣- التّوضيحُ وَالبَيانُ لِشَجَرَةِ الإيْمَانِ
تفسيره .. أصوله ومواده .. من أي شيء يُستمدُّ .. فوائده وثمراته .
- ٤- سؤال وجواب في أهمّ المُهمّات .. تعليم أصول الإيمان ، وبيان موانع الإيمان .
- ٥- كيف عرفت ربك ؟ بَرَاهِينٌ عَقْلِيَّةٌ فِطْرِيَّةٌ عَلَيَّ وَجُودِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ .
- ٦- شُرْحُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الحُسْنَى .
- ٧- الدرّة الفاخرة في التعليق على منظومة « السّير إلى الله وَالدّارِ الآخِرَةِ » .
- ٨- الأسباب التي تُزيل الهَمَّ والحزن والقلق .. الوَسَائِلُ المُفِيدَةُ للحَيَاةِ السَّعِيدَةِ .
- ٩- النَّصِيحَةُ الرِّبَانِيَّةُ فِي الرَّدِّ عَلَيَّ المُغْتَرِبِينَ بِدَعَاةِ الإلْحَادِ وَالمَدَنِيَّةِ الغَرِبِيَّةِ ..
محاورة دينية اجتماعية بعنوان « انتصار الحق » .
- ١٠- قَصَصُ الأنبياء .. فصول في ذكر ما قصَّ الله علينا في كتابه من أخبار الأنبياء مع أقوامهم .
- ١١- رسالة في شرح « القَوَاعِدُ الفِقهِيَّةُ » ، ومعها :
- ١٢- رسالة لطيفة جامعة في « أصول الفقه المُهمّة » .
- ١٣- إرشاد أولي البصائر والألباب لـ : « مَعْرِفَةُ الفِقهِ » بأقرب الطُّرُقِ وأيسر الأسباب .
- ١٤- منهج السالكين و « توضيح الفقه » في الدين .
- ١٥- المناظرات الفقهية .

هذا الكتاب

* نصيحة ربانية مخلصه يوجهها العلامة الشيخ عبد الرحمن ابن ناصر السعدي رحمه الله لأولئك النفر من المسلمين الذين فتنهم المدنية الغربية واغتروا بدعاة الإلحاد والطعن في الدين .

* كتبها في صورة « ناصح » و « منصوح » يأخذ فيها الناصح بيد أخيه إلى بر الأمان والتمسك بالدين بعد أن هوى في ظلمات الشك والحيرة واغتر بدعايات الملحدين لنبد الدين

* وبين فيها السبب في تأخر المسلمين ، وأنه ليس ناشئاً عن دينهم - كما يزعم الملحدون - فإنه دينهم يدعُوهم إلى الصلاح والإصلاح في أمور الدين والدنيا ، ويحث على الاستعداد ؛ من تعلم العلوم ، والفنون النافعة .

* وبين فيها : زيف الحضارات المبنية على الكفر والإلحاد المؤسسية على : الطمع والجشع والقسوة والظلم للعباد ، الفاقدة لروح الإيمان ورحمته ، العادمة لنور العلم وحكمته ؟ فظاهرها مزخرف مزوَّق ، وباطنها خراب ، وتظنُّها تعمُر الموجود وهي في الحقيقة مألها الهلاك والتدمير .